القول الموجز في فواتح الصور

إعداد

د. غمدان أحمد رزق شريح

ghamdan_ah@hotmail.com

+6281326909485

2025

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة هذا البحث في الغموض الذي يكتنف الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية، وتعدد التفسيرات التي وردت بشأنها بين مَن يرى أنها من المتشابه الذي لا يُعلم معناه، ومن يراها رمزًا دلاليًّا وإعجازيًّا له ارتباط بموضوع السورة ومقاصدها. ويهدف البحث إلى الإجابة عن السؤال الآتي:

ما المعاني والدلالات اللغوية والبيانية التي تحملها الحروف المقطعة في أوائل السور؟ وما الحكمة من ورودها بهذا النسق الفريد في كتاب الله تعالى؟

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من النقاط الآتية:

تجديد النظر في قضية الحروف المقطعة التي تُعد من أعمق قضايا علوم القرآن.

تسليط الضوء على الجانب البلاغي والإعجازي لهذه الحروف في بناء السور.

إبراز وحدة النظم القرآني وعلاقته بالافتتاحيات الحرفية.

جمع أقوال المفسرين القدامى والمعاصرين ومقارنتها في ضوء التحليل اللغوي الحديث.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى ما يأتي:

دراسة ظاهرة الحروف المقطعة في القرآن الكريم دراسة تحليلية شاملة.

عرض أهم أقوال العلماء والمفسرين في معناها ومغزاها.

الكشف عن العلاقة بين الحروف المقطعة ومضامين السور التي وردت فيها.

بيان الإعجاز اللغوي والبياني الكامن وراء هذه الفواتح القرآنية.

ترسيخ الإيمان بعظمة القرآن الكريم وعمق معانيه الإلهية.

منهج البحث

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الاستقرائي، وذلك من خلال جمع النصوص القرآنية التي وردت فيها الحروف المقطعة، ثم تحليلها لغويًا وبلاغيًا، مع الاستعانة بتفاسير السلف والمحدثين، ومناقشة الأقوال للوصول إلى رؤية تفسيرية متكاملة تجمع بين التراث واللغة والبيان.

المقدمة

يُعَدُّ القرآن الكريم كتابَ الله المعجز، الذي تحدّى به الإنس والجنّ أن يأتوا بمثله، أو بسورةٍ من مثله، فبقي الإعجاز القرآني شاهدًا على صدق الرسالة وسموّ البيان. ومن أبرز مظاهر الإعجاز في هذا الكتاب العظيم ما ورد في أوائل بعض سوره من الحروف المقطعة، وهي حروف هجائية وردت في تسعٍ وعشرين سورة، تنفرد بنظام صوتي وبنائي لا نظير له في كلام البشر.

وقد حيَّرت هذه الحروف العقول منذ صدر الإسلام، لما فيها من غموضٍ وإشاراتٍ عميقة، فوقف بعض العلماء عندها مؤمنين بأنها من أسرار الله في كتابه لا يعلم تأويلها إلا هو، بينما ذهب آخرون إلى أنها رمزٌ للتحدي والإعجاز، إذ جاء القرآن من هذه الحروف التي يعرفها العرب ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله.

وتأتي هذه الدراسة لتسلّط الضوء على الحروف المقطعة من جوانبها اللغوية والبلاغية والتفسيرية، وتستعرض آراء المفسرين القدامى والمعاصرين في معناها ومغزاها، محاولةً الوقوف على أسرارها ودلالاتها في ضوء ما تحمله من إشارات إعجازية وروحية، تؤكد أن القرآن الكريم كلام الله المعجز في نظمه ومعناه، وأن وراء كل حرفٍ فيه حكمةً بالغة.

تعريف الحروف المقطعة

الحروف المقطعة هي الحروف التي تأتي في أوائل بعض سور القرآن الكريم على شكل حروف هجائية منفصلة، مثل:

الم، حم، كهيعص، طه، يس، ص، ق، ن

وتُسمّى أيضًا فواتح السور، لأنها تَرِدُ في بداية السورة.

عدد السور التي وردت فيها

وردت الحروف المقطعة في 29 سورة من سور القرآن الكريم، وهي في الغالب من السور المكية، باستثناء بضع سور مدنية مثل البقرة وآل عمران.

أشكالها وأنواعها

تأتي الحروف المقطعة على أنماط مختلفة:

حرف واحد:

مثل: ص، ق، ن

حرفان:

مثل: طه، طس، يس، حم

ثلاثة أحرف:

مثل: الم، الر، طسم

أربعة أحرف:

مثل: المر، المص

خمسة أحرف:

مثل: كهيعص، حم عسق

أبرز السور التي بدأت بها

بعض الأمثلة:

الم ⟵ في البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة.

الر ⟵ في يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر.

طه، طسم، طس ⟵ في سور طه، الشعراء، النمل، القصص.

حم ⟵ في سبع سور متتابعة من غافر إلى الأحقاف.

كهيعص ⟵ في مريم.

يس، ص، ق، ن ⟵ في سور تحمل نفس الأسماء.

أقوال العلماء في تفسيرها اختلف العلماء في معناها إلى أقوال كثيرة، أشهرها:

أنها من أسرار الله تعالى في القرآن، لا يعلم تأويلها إلا هو سبحانه، كما قال أبو بكر الصديق وجمهور من السلف. أنها إشارات إلى إعجاز القرآن، أي أن القرآن مؤلَّف من هذه الحروف التي يعرفها العرب، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله. أنها أسماء للسور، مثل "طه" و"يس". أنها رموز ومعانٍ خاصة يعلمها النبي ﷺ ومن شاء الله من عباده.

الحكمة من ذكرها

التحدي والإعجاز: للدلالة على أن هذا القرآن مؤلف من هذه الحروف نفسها التي يتكلم بها العرب، ومع ذلك لا يستطيعون الإتيان بمثله.

لفت الانتباه: فقد كانت العرب تبدأ كلامها أحيانًا بالحروف للتنبيه والإثارة، فجاء القرآن على أسلوب مألوف لهم. بيان إعجاز النظم القرآني رغم أنه من نفس الحروف التي يعرفونها.

الحروف المقطعة وردت على النحو التالي حسب ترتيب المصحف:

البقرة – الم

آل عمران – الم

الأعراف – المص

يونس – الر

هود – الر

يوسف – الر

الرعد – المر

إبراهيم – الر

الحجر – الر

مريم – كهيعص

طه – طه

الشعراء – طسم

النمل – طس

القصص – طسم

العنكبوت – الم

الروم – الم

لقمان – الم

السجدة – الم

يس – يس

ص – ص

غافر – حم

فصلت – حم

الشورى – حم عسق

الزخرف – حم

الدخان – حم

الجاثية – حم

الأحقاف – حم

ق – ق

القلم – ن

سرّ اختلاف الحروف بين السور العلماء لاحظوا أن اختلاف الحروف ليس عبثًا، بل وراءه نظام إعجازي دقيق، ومن أبرز الملاحظات:

ارتباط الحروف بمضامين السورة:

فالسور التي تبدأ بـ "الم" يغلب عليها الحديث عن القرآن والوحي والإيمان.

والسور التي تبدأ بـ "حم" يغلب فيها الحديث عن الوحي والجدال مع الكفار.

وسور "طه" و"يس" و"ص" يغلب فيها الحديث عن الرسالة والنذارة.

التوازن الصوتي:

الحروف المقطعة تفتح السورة بنغمة موسيقية خاصة، تمهد لسياقها القرآني بأسلوب يثير الانتباه ويجذب السامع.

الاختصار والإشارة:

فهي إشارات رمزية تفتح المعنى دون أن تصرح به، كأنها باب لغويّ بين الغيب والشهادة.

رابعًا: آراء المفسرين في معناها

1. رأي السلف (السكوت عنها):

قال أبو بكر الصديق وعمر وابن عباس رضي الله عنهم:

‘‘لكل كتاب سرّ، وسرّ القرآن فواتح سوره.’’

أي أنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه.

2. رأي الإعجاز اللغوي:

قال الزمخشري والرازي وغيرهما:

إن الحروف المقطعة دليل على أن القرآن مؤلف من نفس الحروف التي يعرفها العرب، ومع ذلك عجزوا أن يأتوا بمثله.

3. رأي الأسماء الرمزية:

رأى بعض المفسرين أن هذه الحروف أسماء للسور، كما يُقال ''سورة طه'' و''سورة يس''، فهي كالعناوين المميزة.

4. رأي الإشارة الإلهية:

بعض العلماء قالوا إنها رموز بين الله ورسوله ﷺ لا يعلمها غيرهما، وهذا مروي عن ابن عباس وبعض التابعين.

5. رأي عددي/إحصائي:

ذكر بعض الباحثين المعاصرين أن لهذه الحروف علاقة عددية بحروف السورة، فمثلًا الحروف التي تُذكر في الفاتحة تكثر تكرارًا في السورة نفسها، مما يدل على إعجاز عددي دقيق.

خامسًا: الجوانب البلاغية

الإيجاز والإعجاز: جاءت الحروف قليلة المبنى عظيمة المعنى.

الإيقاع الصوتي: تُحدث نغمة افتتاحية فريدة تهيئ السامع للخطاب الإلهي.

إثارة الانتباه: كانت العرب تُنصت إذا سمعوا "الم" أو "كهيعص" إذ لا يعرفون لها مثيلًا في كلامهم.

التمهيد لموضوع السورة: ففي الغالب تأتي بعدها آيات تتحدث عن الكتاب أو الوحي، مثل:

الم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ (البقرة: 1–2)

سادسًا: الجانب الإيماني والروحي

تدل الحروف المقطعة على أن العلم البشري محدود، وأن في القرآن أسرارًا إلهية لا تُدرك بالعقل وحده.

فيها تذكير للمؤمن بأن القرآن كلام الله، لا يشبهه كلام البشر مهما بلغت فصاحتهم.

كما أن سكوت السلف عن تأويلها فيه أدب مع الله، وإشارة إلى التواضع أمام علمه سبحانه.

سابعًا: خلاصة القول

الحروف المقطعة من أعظم دلائل إعجاز القرآن، إذ جمعت بين الإبهام والبيان، والإيجاز والعمق، والرمز والمعنى.

هي إشارات ربانية تدل على أن هذا الكتاب منزل من عند الله، وأن وراء كل حرف فيه حكمة وسرًّا لا يُدرك إلا بتدبر وإيمان.

«وفى الحروف المقطعة ثلاثون قولا قد ذكرتها فى (إعراب القرآن) فمن الجائز أن يكون إعراب القرآن هذا هو (البديع) أو (المفيد) أو (الإيضاح) فيكون إعراب القرآن هو موضوعه ومضمونه، وعنوانه (البديع) أو (المفيد) أو (الإيضاح) فإذا كان أحدها فإنّه سيكون للثانى وللثالث موضوع آخر يختلف عن القراءات وتوجيهها وإعرابها، وتتناول التفسير بمضمونه الواسع ... بشكل مختصر ومفصّل[1].

1- قال الإمام الطبري (الـــــم).

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه: {الم (1)}.

قال أبو جعفرٍ: اخْتَلَفَت تَراجِمةُ القرآنِ في تأويلِ قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه: {الم}؛ فقال بعضُهم: هي اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ.

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى، قال: أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخْبَرَنا مَعْمَرٌ، عن قتادةَ في قولِه: {الم}. قال: اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ.

حدَّثني المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ الآمُلِيُّ، قال: حدَّثنا أبو حُذَيْفةَ موسى بنُ مسعودٍ، قال: حدَّثنا شِبْلٌ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ، عن مُجاهِدٍ، قال: {الم} اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ.

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ، قال: حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ، قال: حدَّثني حَجَّاجٌ، عن ابنِ جُرَيْجٍ، قال: {الم} اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ.

وقال بعضُهم: هي فَواتحُ يَفْتَحُ اللَّهُ بها القرآنَ.

---

[1] إعراب القراءات السبع وعللها. 90.
المؤلف: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني النحوي الشافعي (ت 370 هـ)

ذكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثني هارونُ بنُ إدريسَ الأصَمُّ الكوفيُّ، قال: حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ المحاربيُّ، عن ابنِ جُرَيْجٍ، عن مُجاهدٍ، قال: {الم} فَواتِحُ يَفْتَحُ اللَّهُ بها القرآنَ.

حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمٍ الغِفاريُّ، قال: حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ، قال: حدَّثنا سفيانُ، عن مُجاهِدٍ، قال: {الم} فَواتِحُ.

حدَّثني المثَنَّى بنُ إبراهيمَ، قال: حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ، عن يحيى بنِ آدمَ، عن سفيانَ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ، عن مُجاهِدٍ، قال: {الم} و {حم} و {المص} و {ص} فواتحُ افْتَتَح اللَّهُ بها.

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ، قال: حدَّثنا الحسينُ، قال: حدَّثني حجاجٌ، عن ابنِ جُرَيْجٍ، عن مُجاهِدٍ مثلَ حديثِ هارونَ بنِ إدريسَ.

وقال بعضُهم: هي اسمٌ للسورةِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

أنْبَأنا عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ، قال: سأَلْتُ عبدَ الرحمنِ بنَ زيدِ بنِ أسْلَمَ عن قولِ اللَّهِ: {الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ}، و {الم (1) تَنْزِيلُ}، و {المر تِلْكَ}. فقال: قال أبي: إنما هي أسماءُ السُّوَرِ.

وقال بعضُهم: هو اسمُ اللَّهِ الأعظمُ.

ذكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المثَنَّى، قال: حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ، قال: حدَّثنا شعبةُ، قال: سأَلْتُ السُّدِّيَّ عن {حمَ} و {طسَم} و {الم}. فقال: قال ابنُ عباسٍ: هي اسمُ اللَّهِ الأعظمُ.

حدَّثنا محمدُ بنُ المثَنَّى، قال: حدَّثني أبو النُّعْمانِ، قال: حدَّثنا شعبةُ، عن إسماعيلَ السُّدِّيِّ، عن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ، قال: قال عبدُ اللَّهِ. فذكَر نحوَه.

عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ موسى، عن إسماعيلَ، عن الشعبيِّ، قال: فَواتحُ السُّوَرِ مِن أسماءِ اللَّهِ.

وقال بعضُهم: هو قَسَمٌ أقْسَم اللَّهُ به، وهو مِن أسمائِه[2].

---

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن 240/1.

قال محمد علي طه الدرة (المص)

{المص:} قال ابن عباس–رضي الله عنهما: معناه: أنا الله أفصل. وعنه: أنا الله أعلم، وأفصل، وعنه أيضا: أن {المص} قسم أقسم الله به، وهو اسم من أسماء الله تعالى.

وقال قتادة: {المص} اسم من أسماء القرآن. وقال الحسن: هو اسم للسورة. وقال السدي: هو بعض اسمه تعالى: المصور. وقال أبو العالية: الألف: مفتاح اسم الله، واللام: مفتاح اسمه اللطيف، والميم: مفتاح اسمه مجيد، والصاد: مفتاح اسمه صادق، وصبور. وقيل: هي حروف مقطعة استأثر الله تعالى بعلمها، وهي سره في كتابه العزيز. وقيل: هي حروف اسمه الأعظم[3].

كهيعص (1)}. سورة مريم

اختلف أهل التأويل في تأويل قولِ اللَّهِ عزَّ ذِكْرُه: كاف من {كهيعص}؛ فقال بعضُهم: تأويل ذلك أنَّها حرفٌ من اسمه الذي هو كبيرٌ، دلَّ به عليه، واسْتَغنى بذكره عن ذكرِ باقي الاسم.

عن ابن عباس في هذه الآيةِ: {كهيعص}. قال: كبير. يعنى بالكبير: الكاف من {كهيعص}.

حدثنا هنادُ بنُ السَّرِيِّ، قال: ثنا أبو الأَحْوَصِ، عن حصين، عن إسماعيلَ بن راشد، عن سعيد بن جبيرٍ مثله.

حدثنا أبو كريبٍ، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا حُصَينٌ، عن إسماعيلَ بن راشد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان يقولُ: {كهيعص}. قال: كافٌ: كَبيرٌ[4].

(طه)

---

[3] تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه 448/3.
المؤلف: محمد علي طه الدرة.

[4] أخرجه البيهقى في الأسماء والصفات 1/ 231 (165)، والثورى في تفسيره ص 181، والضياء في المختارة 10/ 56، من طريق حصين به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور 4/ 258 إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن المنذر وعبد بن حميد وابن أبي شيبة. جامع البيان عن تأويل آي القرآن 443/15.
(2) ذكره الحافظ في الفتح 8/ 427.

واختلفوا في معناها على أربعة أقوال : أحدها: أن معناها: يا رجل، رواه العوفيّ عن ابن

عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة واختلف هؤلاء بأيّ لغة هي، على أربعة أقوال: أحدها: بالنبطيّة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير في رواية، والضحاك. والثاني: بلسان عكّ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: بالسريانية، قاله عكرمة في رواية، وسعيد بن جبير في رواية، وقتادة. والرابع: بالحبشية، قاله عكرمة في رواية. قال ابن الأنباري:

ولغة قريش وافقت هذه اللغة في المعنى. والثاني: أنها حروف من أسماء. ثم فيها قولان: أحدهما:

أنها من أسماء الله تعالى. ثم فيها قولان: أحدهما: أن الطاء من اللطيف، والهاء من الهادي، قاله ابن مسعود، وأبو العالية، والثاني: أن الطاء افتتاح اسمه «طاهر» و «طيِّب» والهاء افتتاح اسمه «هادي» قاله سعيد بن جبير. والقول الثاني: أنها من غير أسماء الله تعالى. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الطاء من طابة وهي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والهاء من مكة، حكاه أبو سليمان الدمشقي. والثاني: أن الطاء: طرب أهل الجنة، والهاء: هوان أهل النار. والثالث: أن الطاء في حساب الجُمل تسعة، والهاء خمسة، فتكون أربعة عشر. فالمعنى: يا أيها البدر ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، حكى القولين الثعلبي.

والثالث: أنه قَسَم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقد شرحنا معنى كونه اسماً في فاتحة (مريم) . وقال القرظي: أقسم الله بطوله وهدايته وهذا القول قريب المعنى من الذي قبله.

والرابع: أن معناه: طأِ الأرض بقدميك، قاله مقاتل بن حيّان. ومعنى قوله تعالى لِتَشْقى: لتتعب وتبلغ من الجهد ما قد بلغتَ، وذلك أنه اجتهد في العبادة وبالغ، حتى إنه كان يرواح بين قدميه لطول القيام، فأُمر بالتخفيف[5].

وفي معنى «طسم» أربعة أقوال:

أحدها: أنها حروف من كلمات، ثم فيها ثلاثة أقوال:

(1059) أحدها: رواه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت «طسم» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطاء: طور سيناء، والسين: الاسكندرية، والميم: «مكة» . والثاني: أن الطاء: طَيْبَة،

---

[5] قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» 8/ 390: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه: قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عكّ فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل. زاد المسير في علم التفسير 151/3.

وسين: بيت المقدس، وميم: مكة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: الطاء: شجرة طوبى، والسين: سدرة المنتهى، والميم: محمّد صلى الله عليه وسلم، قاله جعفر الصادق.

والثاني: أنه قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله تعالى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقد بيَّنَّا كيف يكون مثل هذا من أسماء الله تعالى في فاتحة (مريم) . وقال القرظيّ: أقسم الله بطوله وسنائه

ومُلكه. والثالث: انه اسم للسُّورة، قاله مجاهد. والرابع: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة، وأبو روق. وما بعد هذا قد سبق تفسيره إلى قوله: أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ والمعنى: لعلّك قاتل نفسك لتركهم الإيمان[6].

(طس)

قوله تعالى: طس فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قسم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وفي رواية أخرى عنه، قال: هو اسم الله الأعظم. والثاني: اسم من أسماء القرآن، قاله قتاده. والثالث: الطاء من اللطيف، والسين من السميع، حكاه الثعلبي.

(يس)

قال أبو جعفرٍ: اخْتلَف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قولِه: {يس}؛ فقال بعضُهم: هو قسَمٌ أقسَم اللهُ به، وهو من أسماءِ اللهِ عز وجل.ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني عليٌّ، قال: ثنا أبو صالحٍ، قال: ثني معاويةُ، عن عليٍّ، عن ابن عباسٍ قولَه: {يس}. قال: فإنه قسمٌ أَقْسَمه اللهُ، وهو من أسماءِ اللهِ.

وقال آخرون: معناه: يا رجلُ. ذكرُ مَن قال ذلك حدَّثنا ابن حُميدٍ، قال: ثنا أبو تُميلةَ، قال: ثنا الحسينُ بن واقدٍ، عن يزيدَ، عن عكرمةَ، عن ابن عباسٍ في قوله: {يس}. قال: يا إنسانُ. بالحَبَشيَّةِ.

حدَّثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفرٍ، قال: ثنا شعبةُ، عن شَرْقيٍّ، قال: سمِعتُ عكرمةَ يقولُ: تفسيرُ {يس}: يا إنسانُ[7].

(ص)

---

[6] زاد المسير في علم التفسير 335/3.

[7] عزاه السيوطي في الدر المنثور 5/ 258 إلى المصنف وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. جامع البيان عن تأويل آي القرآن 398/19.

قال أبو جعفرٍ: اختلَف أهلُ التأويلِ في معنى قولِ اللهِ عز وجل: {ص}؛ فقال بعضُهم: هو من المصاداة، من: صادَيتُ فلاناً. وهو أمرٌ من ذلك؛ كأن معناه عندَهم: صادِ بعملك القرآنَ. أي: عارِضه به. ومَن قال: هذا تأويله. فإنه يقرؤُه بكسرِ الدال؛ لأنَّه أمرٌ، وكذلك رُوِى عن الحسنِ[8].

(عسق)

عسق فيه ثلاثة أقوال أحدها: أنه قسم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه حروف من أسماء ثم فيه خمسة أقوال: أحدها: أن العين عِلْم الله، والسين سناؤه، والقاف قُدرته، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثاني: أن العين فيها عذاب، والسين فيها مسخ، والقاف فيها قذف، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثالث: أن الحاء من حرب، والميم من تحويل مُلك، والعين من عدوّ مقهور، والسين استئصال بسِنين كسِنِيّ يوسف، والقاف من قُدرة الله في ملوك الأرض، قاله عطاء.

والرابع: أن العين من عالم، والسين من قُدُّوس، والقاف من قاهر، قاله سعيد بن جبير. والخامس: أن العين من العزيز، والسين من السلام، والقاف من القادر، قاله السدي. والثالث: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة[9].

(ق)

وفي «ق» خمسة أقوال : أحدها: أنه قسم أقسم اللهُ به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه جبل من زَبَرْجَدة خضراء، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: خلق الله جبلا يقال له: «ق» محيط بالعالم،

وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله عز وجل أن يزلزل قرية، أمر ذلك الجبل فحرَّك العرق الذي يلي تلك القرية. وقال مجاهد: هو جبل محيط بالأرض. وروي عن الضحاك أنه من زمردة خضراء،

---

[8] وكذا قرأ أُبي وابن أبي إسحاق وأبو السمال وابن أبي عبلة ونصر بن عاصم. ينظر مختصر الشواذ ص 129، والبحر المحيط 7/ 383. عزاه السيوطي في الدر المنثور 5/ 296 إلى المصنف وعبد بن حميد. جامع البيان عن تأويل آي القرآن 20/5.

[9] قال الشوكاني رحمه الله في «تفسيره» 4/ 602: قد تقدم الكلام في أمثال هذه الفواتح، واختلفوا في (حم عسق) وقيل فيها، مما هو متكلف متعسف لم يدل عليه دليل ولا جاءت به حجة ولا شبهة حجة، وقد ذكرنا قبل ذلك ما روي من ذلك مما لا أصل له. زاد المسير في علم التفسير58/4.

وعليه كَنَفَا السماء، وحُضرة السماء منه. والثالث: أنه جبل من نار في النار، قاله الضحاك في رواية عنه عن ابن عباس. والرابع: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. والخامس: أنه حرف من كلمة. ثم فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه افتتاح اسمه «قدير» ، قاله أبو العالية. والثاني: أنه افتتاح أسمائه: القدير والقاهر والقريب ونحو ذلك، قاله القرظي. والثالث: أنه افتتاح «قُضي الأمرُ» وأنشدوا:

قُلنا لها قِفِي فقالتْ قافْ

معناه: أقف، فاكتفت بالقاف من «أقف» ، حكاه جماعة منهم الزجاج. والرابع: قف عند أمرنا ونهينا، ولا تَعْدُهُما، قاله أبو بكر الورّاق. والخامس: قُلْ يا محمد، حكاه الثعلبي[10].

(ن)

اختلَف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قولِه: {ن}؛ فقال بعضُهم: هو الحوتُ الذي عليه الأَرَضُون.

ذكرُ مَن قال ذلك حدَّثنا محمدُ بن المثنى، قال: ثنا ابنُ أبي عديٍّ، عن شعبةَ، عن سليمانَ، عن أبي ظَبْيانَ، عن ابنِ عباسٍ، قال: أَوَّلُ ما خلَق اللَّهُ مِن شيءٍ القلمُ، فَجَرَى بما هو كائنٌ، ثم رُفِع بخارُ الماءِ، فخُلِقَت منه السماواتُ، ثم خُلِق النُّونُ، فبُسِطَتِ الأرضُ على ظَهْرِ النُّونِ، [فتحرَّك النونُ، فمادت الأرضُ]، فأُثْبِتَت بالجبالِ، فإِنَّ الجبالَ لَتَفْخَرُ على الأرضِ. قال: وقرَأ: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}[11]

وفي معنى (نون) سبعة أقوال «1» : أحدها: أنها الدواة. روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أول ما خلق الله القلم، ثم خلق النّون،وهي الدواة» وهذا قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير، وبه قال الحسن وقتادة.

والثاني: أنه آخر حروف الرحمن، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنه الحوت الذي على ظهر الأرض، وهذا المعنى في رواية أبي ظبيان عن ابن عباس، وهو مذهب مجاهد، والسّدّيّ، وابن السّائب. والرابع: أنه لَوْح من نور، قاله معاوية بن قرّة. والخامس: أنه افتتاح اسمين «نصير» ، و «ناصر» قاله عطاء. والسادس: أنه قَسَمٌ بِنُصْرَةِ الله للمؤمنين، قاله القرظي. والسابع: أنه نهر في الجنة، قاله جعفر الصادق[12].

---

[10] زاد المسير في علم التفسير 58/4.

[11] الطبري 140/23.

[12] زاد المسير في علم التفسير 319/4.

الخاتمة

بعد هذا العرض والتحليل لظاهرة الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية، يتبيَّن أن هذه الحروف تمثّل جانبًا من جوانب الإعجاز القرآني الذي عجزت العقول عن الإحاطة به إحاطةً كاملة، وأنها ليست ألفاظًا عابرة أو رموزًا بلا معنى، بل هي آيات مقصودة لذاتها تحمل دلالات لغوية وبيانية وروحية عميقة.

وقد أجمعت أقوال المفسرين – على اختلاف مناهجهم – على أن هذه الحروف تُظهر قدرة الله تعالى في تأليف كلام معجز من حروفٍ يعرفها الناس ويستعملونها، ومع ذلك يعجزون عن الإتيان بمثله، مما يدل على أن مصدر القرآن ربانيّ لا بشري. كما أنها تُلفت انتباه السامعين منذ مطلع السورة إلى عظمة الوحي وبلاغة الخطاب الإلهي، فيتهيأ القلب لتلقي ما بعدها من آيات.

كما ظهر من خلال الدراسة أن لكل مجموعة من الحروف المقطعة ارتباطًا خاصًا بمضمون السورة التي وردت فيها، وأنها تهيئ مدخلًا بلاغيًا ومعنويًا يتّسق مع موضوع السورة ومقاصدها. وهذا ما يعزز القول بأن ورودها بهذا النسق الإعجازي لم يكن عبثًا، بل لحكمة أرادها الله تعالى.

وفي ضوء ما تقدّم، يتأكد أن الحروف المقطعة من الأسرار الإلهية التي تُظهر عظمة البيان القرآني، وتدعونا إلى مزيد من التدبر في كتاب الله العزيز، إدراكًا بأن كل حرف فيه مقصودٌ وموزونٌ بميزان الحكمة.

{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}.

قائمة المراجع

الطبري، محمد بن جرير. (1992). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (الطبعة الثانية). دار هجر، القاهرة.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (1967). الجامع لأحكام القرآن (الطبعة الأولى). دار الكتب المصرية، القاهرة.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1999). تفسير القرآن العظيم (الطبعة الأولى). دار طيبة، الرياض.

الزمخشري، محمود بن عمر. (1987). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (الطبعة الثالثة). دار الكتاب العربي، بيروت.

الرازي، فخر الدين. (1981). التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) (الطبعة الثالثة). دار إحياء التراث العربي، بيروت.

السيوطي، جلال الدين. (1987). الإتقان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم). دار الفكر، بيروت.

الزركشي، بدر الدين. (1988). البرهان في علوم القرآن (الطبعة الثانية). دار المعرفة، بيروت.

البقاعي، إبراهيم بن عمر. (1995). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (الطبعة الأولى). دار الكتب العلمية، بيروت.

الألوسي، شهاب الدين محمود. (1994). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (الطبعة الرابعة). دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). التحرير والتنوير (الطبعة الأولى). الدار التونسية للنشر، تونس.

الزرقاني، محمد عبد العظيم. (1995). مناهل العرفان في علوم القرآن (الطبعة الثالثة). دار الفكر العربي، القاهرة.

الصابوني، محمد علي. (2001). صفوة التفاسير (الطبعة الرابعة). دار الصابوني، بيروت.

دراز، محمد عبد الله. (1980). النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم (الطبعة الثانية). دار القلم، الكويت.

السامرائي، فاضل صالح. (2008). لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (الطبعة الخامسة). دار عمار، عمّان – الأردن.

الشعراوي، محمد متولي. (2005). خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم (الطبعة السادسة). مطابع أخبار اليوم، القاهرة.

الطاهر، محمد بن عاشور. (2000). أسرار التكرار في القرآن الكريم (الطبعة الثانية). دار السلام، القاهرة.

عبد القادر، أحمد حسن. (2010). دراسات في الإعجاز البياني للقرآن الكريم (الطبعة الأولى). دار النهضة العربية، بيروت.

الخولي، أمين. (1961). التفسير البياني للقرآن الكريم (الطبعة الأولى). دار المعارف، القاهرة.

الراوي، عبد الرحمن. (2012). الإعجاز العددي في القرآن الكريم بين الحقيقة والوهم (الطبعة الأولى). دار الفكر المعاصر، دمشق.

الزحيلي، وهبة. (2003). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (الطبعة الأولى). دار الفكر المعاصر، دمشق – بيروت.